مدن وموانئ المغرب القديم فترة الاحتلال الروماني
(٢٧ ق.م.- ٢٣٥م.)

أبوبكر سرحان
مدرس مساعد التاريخ القديم (يوناني روماني) قسم التاريخ
معهد البحوث والدراسات الأفريقية- جامعة القاهرة

مقدمة

ساهم الاستيطان الروماني بالمغرب القديم (تونس- الجزائر- المغرب الأقصي)، منذ بدايته عام ١٤٦ق.م.، بعد سقوط قرطاجة؛ في إحداث حركة تعمير وتمدين بشكل كبير وسريع وزيادة في عدد السكان، بداية من الشريط الساحلي وباتجاه الجنوب؛ وتمثل ذلك في تأسيس عدد من المدن التي تنوعت حسب أصل مستوطنيها وحقوقهم القانونية، إضافة إلي عدد من المرافق العامة دينية وثقافية وترفيهية، وعدد من الموانئ علي طول شريط البحر المتوسط والمحيط الاطلنطي. وشبكة من الطرق سهلت الاتصال بين تلك الوحدات السكانية مدعمة بتطوير في وسائل الإنتقال، حيث أن هذا النشاط العمراني جاء علي حساب السكان الأصليين في محاولة من الرومان لإزاحتهم نحو الجنوب أكثر بعد الاستيلاء علي أراضيهم.

أولاً- المدن

كانت المدينة هي الوحدة الأساسية في الولايات الرومانية بالمغرب كما كانت كذلك قبل الاحتلال الروماني، وشهد جميعها حالة من التقدم والازدهارمع نهاية عصر الجمهورية الرومانية، وبلغت أقصي تطور لها خلال عصر الإمبراطورية، حيث شجع الأباطرة الرومان تطور المدن، بل وإنشاء مدن جديدة لما لها من أهمية في نشر الحضارة الرومانية.

اختار الرومان لتأسيس مدنهم أهم المواقع بالإضافة إلي مواقع المدن التي سبق أن اختارها الفينيقيون والقرطاجيون من قبل، حيث يلاحظ من الشواهد الأثرية ونتيجة الحفائر في قرطاجة وغيرها من المدن الساحلية وجود آثار المدن الرومانية فوق آثار المدن الفينيقية والقرطاجية، وذلك لأن عملية اختيار هذه المواقع كانت تتم بدقة من قبل الفينيقيين من حيث صلاحية المكان للسكني ولكافة الأغراض الاقتصادية والدفاعية، وقد انتشرت المدن الرومانية في جميع أنحاء المغرب، من طرابلس شرقاً حتي موريتانيا غرباً، وكانت المدن الرومانية تقل كلما اتجهنا غرباً نحو موريتانيا بسبب صعوبة التضاريس ووجود جبال أطلس، والتي كانت توجد بها القري

الجبلية، وأقيمت عليها الزراعات الصناعية مثل الزيتون والكروم، مصدرا الثراء في هذه الأجزاء من المغرب(١).

وقد شهد المغرب منذ عصر الإمبراطورية نمواً ملحوظاً في إنشاء المدن، والذي كان يوليوس قيصر قد دشنه في نهاية عصر الجمهورية أثناء وجوده بالمغرب، واتبع أغسطس منذ بداية حكمه سياسة تهدف إلي تحويل كل المناطق غير المتحضرة والتابعة لنفوذ الرومان إلي مجموعة من المدن تتمتع بالحكم الذاتي، يدين جميعها بوضعها المتميز للحكومة المركزية في روما، وسعي إلي تطبيق حياة الحضر والتمدين علي المناطق القبلية حتي يضمن ولاءها للرومان، وطور أيضاً وحدات صغيرة كانت تسمي كاناباي Canabae أو (الأكواخ) إلي وحدات شبيهة بالمدن، اتخذ منها الجنود سكناً لهم(٢).

وكما يذكر "بلينيوس" كانت توجد في المغرب في بداية عهد أغسطس خمسمائة وستة عشر وحدة أو تجمع سكني، منها إحدي وخمسين مدينة فينيقية وست مستوطنات Coloniae وخمس عشرة بلدية Municipia، وثلاثون مدينة حرة Civitates Iiberae(٣).

وقد شجع الأباطرة بعد أغسطس إنشاء المدن وتطوير المدن القائمة بالفعل مثلما فعل"تراجان" و"هادريان"، حيث تم رفع كل المدن المزدهرة غير الرومانية في المغرب إلي مرتبة بلديات لاتينية Municipia Civium Latinarum أو بلديات رومانية Municipia Civium Romanorum أو مستوطنات رومانية Coloniae ، وذلك لنشر التأثير الروماني

---

(١) رشيد سالم الناضوري: المغرب الكبير، الجزء الأول، العصور القديمة وأسسها التاريخيةوالحضارية والسياسية، الدار القومية للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٦٦م.، ص٣٣٢.

(٢) رستوفتزف، م.: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي ومحمد سليم سالم، الجزء الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨١م.، ص٨٧-٨٩.

(٣) أنظر الخريطة.

Plinius: Natural History(Historia Naturalis), Translated by: Jones, W.H.,(L.C.L.), London, 1955.V.II.22.;V.IV.30.

قام "بليني" بتجميع هذه القائمة من خلال وثيقة ترجع إلي عهد الإمبراطور "أغسطس".

Gsell,S.: Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord,. 8Tomes,Paris, 1972. ,T.V,P.112.

وتكوين طبقة من السكان متأثرة بالمدنية الرومانية من أجل تدعيم سلطة روما وهيمنتها علي ولاياتها[١].

وكان الاعتماد الأكبر في تأسيس تلك المدن علي المهاجرين من روما وإيطاليا، وذلك منذ القرن الأول من عصر الإمبراطورية حيث تزايدت أعداد المهاجرين من إيطاليا عامة إلي الولايات الرومانية في المغرب بسبب الأزمة الاقتصادية التي مرت بها والتي استمرت حتي القرن الثاني الميلادي[٢].

وفيما يلي نعرض لأنواع المدن التي أسسها الرومان والتي تم تصنيفها طبقاً لأصل سكانها أو درجة تمتعهم بحقوق المواطنة الرومانية الكاملة أو الناقصة.

١- **المستوطنات** Coloniae

كان قيصر كما ذكرنا من قبل أول من اهتم بإنشاء المدن في المغرب نهاية عصر الجمهورية الرومانية، وكانت أهم هذه المدن طبقاً لتصنيفها هي المستوطنة[٣] الرومانية وهي في الأصل مدينة كان سكانها من الرومان سواء القادمين من مدينة روما نفسها أو من الذين منحوا الجنسية الرومانية أياً كان أصلهم (من إيطاليا أو خارجها). وأصبحت هذه المدن موطناً للثقافة والحضارة الرومانية، حيث كان من الصعب التمييز بين المستوطنين الرومان وأهالي البلاد الأصليين، خاصة بعد أن منحهم قيصر الجنسية الرومانية، فأصبحت هذه المستوطنات مدناً رومانية تماماً [٤].

---

(١) شارل أندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، تونس- الجزائر- المغرب الأقصى، من البدء إلي الفتح الإسلامى٦٤٧م، ترجمةمحمد مزالي والبشير بن سلامة، الطبعة الثالثة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٥١م.، ص٢١٨.

(٢) Starr,Chester,G.: The Emergence of Rome as Ruler of The Wesern World,paris,1965,P.50.

(٣) هذه الكلمة أصلها كلمة Coloraus، وتعني في الأصل المزارع أو المالك لقطعة صغيرة من الأرض بمفهوم الاستيطان الروماني، وكانت كلمة مستوطن تعني قديماً عبد أو خادم ولكنها أصبحت تستخدم للإشارة إلي المستوطن المستقر في أي من المدن الرومانية في الأراضي التي يحتلها الرومان وذلك منذ العصر الجمهوري.

آمال مصطفي كمال إبراهيم: نظام الحكم في ولاية أفريقيا الرومانية من ١٤٦ق.م إلى ٢٨٤ م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٣م.، ص١٧٩.

(٤) المرجع نفسه، ص١٨٠.

وقد تبني "أوكتافيوس" أوغسطس سياسة قيصر الاستيطانية التي كان قد بدأها في المغرب بعد أن توقف هذا النشاط لفترة بعد مقتل "قيصر"، فاهتم بإنشاء مزيد من المستوطنات، وباشر مايتم في هذه المستوطنات من إنشاءات، ففي عام ٣٥ق.م. أرسل "ستاتيليوس توروس" Statilius Tourus إلي المغرب لتفقد أحوال المستوطنات التي أقامها فيها نظراً لانشغاله في محاربة خصومه، وبعد أن قضي "أوكتافيوس" علي خصومه، وأتم فتوحاته في الشرق، عاد إلي روما عام ٢٩ق.م. ووجد جيشاً قوامه حوالي مليون جندي، وشعر بعدم الحاجة إلي هذه الأعداد من الجنود، ووضع في اعتباره مايمكن أن تسببه تلك الجيوش، إذا ما بقيت في روما بدون عمل وخاصة إذا عجزت الحكومة عن دفع رواتبهم، وربما دفعهم ذلك إلي التمرد، فبعد أن أبقي لنفسه جيشاً صغيراً سرح باقي الجيوش ووزع عليهم أراضي تم مصادرتها من خصومه في شتي أنحاء الولايات الرومانية، وكان نصيب الولايات الرومانية في المغرب حوالي ثلاثة آلاف جندي، بعد أن قرر إنشاء مستوطنات لهم(١).

استمر اهتمام "أغسطس" بتأسيس المستوطنات في المغرب خلال السنوات الأولي من عصر الإمبراطورية، ومثلما فعل "قيصر"، فهي مواطن كان يعمرها قدماء الجند المسرحين، وفقراء إيطاليا، الذين فقدوا أراضيهم خلال فترة الحروب الأهلية، وأتيحت لهم فرصاً للعيش لم يجدوها في موطنهم الأصلي(٢).

وقد تنوعت المستوطنات الرومانية في المغرب فترة عصر الإمبراطورية بحسب النشاط الذي كان يمارسه سكانها، فالمستوطنات ذات الطابع العسكري والتي أسسها قيصر من قبل والتي كان سكانها من الجنود والمدنيين، أصبحت عسكرية خالصة، بمعني أنها خصصت في عهد الأباطرة لسكني الجنود فقط، وكانت توجد في المغرب سبع عشرة مستوطنة من هذا النوع منتشرة في أنحاء الولايات، منها "قرطاجة" و"ثوبوربو الكبري"Thuburbo Maius (هنشير قصبات الحالية بتونس) و"سيكا" Sicca Veneria (الكاف بالجزائر حالياً) و"ماسكولا" Mascula (خنشلة Khenchela بالجزائر حالياً) و"أوزيا" Auzia (سور الغزلان بالجزائر حالياً)(٣).

---

(١) Haywood,R.M.: An Economic Survey of Ancient Rome,Vol.IV.Part.1 RomanAfrica.Editedby:TennyFrank,U.S.A.,1959.,P.27.

(٢) عبد العزيز عبد الفتاح حجازي: روما وأفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلي عصر الإمبراطور أغسطس (٢٠٢ق.م إلي ١٤م)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٧م.، ص١٥٣.

(٣) انظر الخريطة. Gesll,S.: Op.Cit.,T.VIII,P.205.

استمر الأباطرة بعد "أغسطس" في تأسيس مستوطنات لقدماء الجند في المغرب، وقد منحهم الأباطرة الأوائل العديد من الإمتيازات؛ لتشجيعهم عل الاستقرار في هذه المستوطنات الجديدة، فمثلاً تم إعفاؤهم من الضرائب، حيث كان هذا الاتجاه يتفق وسياسة تشجيع النمو السكاني في ولايات الإمبراطورية، وتعزيز الاندماج بين الرومان والسكان الأصليين، مما شجع هؤلاء الجنود علي البقاء في هذه المستوطنات وعدم الرجوع مرة أخري إلي أوطانهم(١)، وفي عهد الإمبراطور" تراجان"Trajan(٩٨-١١٧م) لم يكن جنود هذه المستوطنات من الرومان فقط، بل من أغلب أنحاء الإمبراطورية(٢).

النوع الآخر من المستوطنات كانت الزراعية والتجارية والصناعية؛ كان يتم إقامتها في الأماكن ذات الأراضي الخصبة أو ذات المقومات التجارية التي تصلح من حيث الموقع كميناء أو الصناعية القريبة من مصادر المواد الخام أو الأسواق وتسهل بها طرق ووسائل النقل(٣)، وقد قام الأباطرة منذ عهد الإمبراطور أغسطس بتأسيس ثلاثة أنواع من المستوطنات المدنية غير العسكرية لتوطين المعمرين الوافدين؛ الأولي كانت مستوطنات يعيش فيها الوافدون جنباً إلي جنب مع الأهالي المغاربة وهي في الأصل مدن مغربية رفعت إلي درجة مستوطنة رومانية، مثل مدينة"ثوبوربو الكبري"، والثانية عبارة عن منطقة ريفية مغربية احتفظت بأراضيها وبنظامها الخاص تتبع المدينة الرومانية مثل مدينة "دقة"، أما الثالثة فهي مستوطنات ذات أهمية أكبر تم تأسيسها علي يد الرومان في مناطق واسعة وكان أغلب سكانها من المستوطنين الرومان مثل منطقة"سيرتا"(٤).

وإذا كانت عملية الاستيطان تمت بواسطة الدولة خاصة مسألة إرسال المستوطنين من الخارج، فإلي جانب هذا كان هناك عدد من المستوطنات أسسه أفراد، وهؤلاء كانوا من التجار والرأسماليين(رجال الأعمال)، ووجدوا في المغرب مجالاً لاستثمار أموالهم في التجارة والمشاريع الكبري، ولم تمانع حكومة الإمبراطورية في هجرة هؤلاء إلي المغرب، بل منحتهم كل الصلاحيات

---

(١) Graham,Alexander: Roman Africa, An Outline of the Raman Occupation Of North Africa, London,1902,P.35.

محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤م.، ص١٩١.

(٢) Gsell,S.: Op.Cit.,T.VIII,P.242.

أرسطو: السياسات، ترجمة الأب أوغسطينس بربارة البوليس، بيروت، ١٩٥٧م، ١١-٢٣.

(٣) شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص٢١٦.

(٤) المرجع نفسه، ص٢١٦.

لممارسة نشاطهم[١]، كما تم تأسيس عدد آخر من المستوطنات الشرفية، وكانت في الأصل بلديات رومانية، وتمارس شئونها علي الطريقة والنظام الروماني، وبشكل رسمي من خلال القوانين الرومانية[٢].

وبعض هذه المستوطنات خاصة الساحلية كان الغرض منها حماية الموانئ والطرق التجارية الهامة أو حماية مستوطنات أخري تم تأسيسها حديثاً، وكان يخشي من تعرضها لخطر السكان المحليين، ونظراً لموقع هذه المستوطنات المتميز علي السواحل، فكان لها دور كبير في تدعيم وانتشار عناصر الحضارة الرومانية أكثر من المستوطنات الداخلية[٣].

وفي عهد الإمبراطور "هادريان"Hadrian (١١٧-١٣٨م) تم إيقاف بناء المستوطنات في الولايات الرومانية بالمغرب في المناطق القريبة من الساحل والمزدحمة بالسكان، لكنه شجع إنشاء المستوطنات الحربية أو ما أطلق عليه "المحميات" وكانت ذات طابع دفاعي، وتقام بجوار المعسكرات الحربية[٤].

ثم اتخذ الإمبراطور "سبتيموس سيفيروس" Septimus Severus (١٩٣-٢١١م.) إجراءات للتوسع في إنشاء هذه المستوطنات، حيث انتزع الأراضي من سكان البلاد الأصليين ووزعها عل الجنود لزراعتها في أوقات السلم، وكان الهدف من إقامة مثل هذه المستوطنات هو الدفاع عن حدود الولايات، خاصة الجنوبية[٥]، كما كان الحال في مستوطنة "مداورا" Madaura (مداوروش بالجزائر حالياً) وهي مستوطنة لقدماء الجند وكانت ملحقة بالولاية البروقنصلية، ومستوطنة "ثيفستي" Theveste (تبسة بالجزائر حالياً) إلي الجنوب من موطن قبائل

---

(١) رستوفتزف، م.: مرجع سابق، ص٣٨٩.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٨٩.

المستوطنات الشرفية في الأصل كانت بلديات Municipia تقدمت بإلتماس للإمبراطور لمنحها مرتبة المستوطنة، وقد سمح الإمبراطور "هادريان" فيما بعد بتأسيس عدداً كبيراً منها في المغرب، وترجع فكرة هذا النوع من المستوطنات الشرفية إلي "بومبيوس سترابون" Pompeius Strabo القنصل الروماني لعام ٩٠-٨٨ق.م.

آمال مصطفي كمال إبراهيم: مرجع سابق، ص١٧٧.

(٣) سيد أحمد علي الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م.، ص٤٥.

(٤) Gsell,S.: Op.Cit.,T.VIII,P,186.

(٥) سيد أحمد علي الناصري: مرجع سابق، ص٣٤٢.

الموسولامي[١]، وكان الهدف من إنشاء هذه المستوطنات أيضاً؛ توفير مايلزم المعسكرات من مواد تموينية يوفرها النشاط الذي يمارسه المستوطنين[٢].

٢- البلديات Municipiae

كانت البلديات في الولايات الرومانية الأربعة(ولاية أفريقيا البروقنصلية، ولاية نوميديا، ولاية موريتانيا القيصرية، ولاية موريتانيا الطنجية)، في المغرب تعني المدن الأجنبية التي حصل سكانها علي حقوق يتمتع بها المواطنون الرومان، ما عدا تلك الحقوق التي لايمكن التمتع بها بدون الإقامة في روما، أو في إحدي مستوطناتها الرومانية الخالصة. والبعض الأخر كان يمنح تلك الحقوق بمقتضي الخدمة في الفرق الرومانية، ولكن أصحابها لايتقلدون مناصب مدنية ولا يملكون حق الإعتراض[٣].

وقد تمتعت بعض البلديات الرومانية في المغرب ببعض الامتيازات، فقد تحررت من دفع الضرائب، وحقها في الحكم الذاتي، ومارست كل حقوق المواطنين الرومان العامة والخاصة، وكلمة بلدية كانت تعادل كلمة المدن الحليفة Civtates Sociorum أو المستوطنات اللاتينية Coloniae Latinae، وهي بهذا تكون أقل شأناً من المستوطنات الرومانية Coloniae Romanae[٤].

وقسمت البلديات في المغرب إلي نوعين حسب الحالة القانونية لكل منهما.

أ- بلديات رومانية Municipia Civium Romanorum

وسكانها كانوا يتمتعون بحقوق الجنسية الرومانية ماعدا الترشح في انتخابات المناصب التي كانت تتم في روما نفسها، ولم يسبقها في المكانة إلا المستوطنات، التي كان سكانها يتمتعون بكامل حقوق الجنسية الرومانية كما سبق وأن ذكرنا، وكانت البلديات تشبه في نظامها السياسي مدينة روما نفسها، فكان لها مجلس بلدي Decurion منتخب يشبه مجلس الشيوخ الروماني وحاكمان Duoviri، يتم انتخابهما كل عام، ووكيلان ماليان، ومشرفان علي الأسواق

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٣١.

(٢) عبد الرحمن بن مرزوق: تأسيس مدينة تيمقاد أو موقادي قديماً، مجلة التراث، جمعية التاريخ والتراث الأثري، ولاية باتنة، دار الشهاب للطباعة والنشر، العدد الثاني، سبتمبر، باتنة، الجزائر، ١٩٨٧م، ص٤٠.

(٣) شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص٢٠١.

(٤) Graham,Alexandar: Op.Cit.,P.35-37.

والطرقات، وعلي الرغم من أن سكانها في منزلة الرومان، إلا أنه كانت تفرض علي عقاراتهم ضرائب لا تفرض علي سكان المستوطنات[١].

كان اقتصاد البلديات يقوم علي أساس الطبقة الثرية، التي تستطيع بثروتها النهوض بأعباء البلدية، وتحمل نفقاتها وتمويل مشروعاتها لصالح الرومان، والثراء كان من أهم الشروط للانتقال من مرتبة قانونية معينة إلي مرتبة أعلي[٢].

وقد شجع الأباطرة سياسة انتشار البلديات الرومانية في المغرب، وخاصة منذ القرن الثالث الميلادي حيث بلغ التوسع الروماني أقصاه في هذه الفترة، وخاصة في الجهة الشرقية والوسطي من المغرب[٣].

ب – بلديات لاتينية Municipiae Latinae

وهي البلديات التي كان سكانها يتمتعون بالحقوق اللاتينية فقط، وهي نفس حقوق المواطنة الرومانية ولكنها غير كاملة، وكانت تتمتع بنفس الامتيازات التي منحت لأعضاء الاتحاد اللاتيني بإيطاليا، وكانت تمنح هذه الدرجة بموجب عقد عام، أو لمجرد أنها آهلة بالمواطنين اللاتين، سواء المتمتعون بالحق اللاتيني من الدرجة الأولي، وهو الذي منحت بمقتضاه المواطنة الرومانية للحكام المحليين وأعضاء مجالس شيوخ البلديات، أو المتمتعين بالحق اللاتيني من الدرجة الصغري، الذي قصر حق المواطنة الرومانية علي الأفراد الذين يتقلدون وظيفة مدنية أو مكانة اجتماعية عالية[٤].

وعموماً فإن هذه المدن سواء كانت مستوطنات أو بلديات؛ فهي مركز النشاط السياسي والاقتصادي والثقافي في المغرب، إذا استثنينا المدن الفينيقية، وكانت الثروة التي تجمعت في هذه المدن سبباً في ازدهارها وترفها، وانعكس ذلك علي المنازل والقصور الفخمة التي شيدت في تلك المدن، وكذلك منشآتها العامة كما سيرد ذكره فيما بعد، وفيما يلي عرض أمثلة لأهم هذه المدن.

ثالثاً– أهم المدن

١ – مدينة ثيسدروس Thysdrus(الجم El Djem بتونس حالياً)

---

(١) شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص٢٠١.

(٢) محمد البشير شنيتي: مرجع سابق، ص١٧٦.

(٣) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٤) Mommson,Th.: The Provinces of The Roman Empire From Caesar to Diocletian,Vol.II.Translated by William,P.Dickson,London,1909,P.3.

تقع في تونس الحالية، عند المحور الرئيسي للطرق التي تربط الشمال والجنوب، علي بعد ٢٠٠كم جنوب شرق تونس في منتصف الطريق بين مدينة هادروميتوم (سوسة بتونس حالياً) وثابسوس (صفاقس بتونس حالياً)، وكانت إحدي المدن الحرة في إقليم قرطاجة كما ذكر بلينيوس[١].

وتعود آثار المدينة النادرة إلي القرن الثالث قبل الميلاد، وظهر اسمها لأول مرة أثناء حرب يوليوس قيصر في المغرب، حيث شاركت في الحرب إلي جانبه ووصفها في مذكراته بأنها مدينة صغيرة[٢].

وفي نهاية القرن الثاني قبل الميلاد وفي عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (١٩٣-٢١١م.) كما رفع المدينة إلي مرتبة البلدية الرومانية Municipium Civium Romanorum وكان لها دور كبير في التجارة، حيث ساعد موقعها عل وجود سوق كبيرة بها عند تقاطع الطرق الرئيسية المتجهة إلي وسط تونس، وكانت الوسيط بين الموانئ الواقعة علي الساحل شرق تونس وبين الأراضي الداخلية في نقل الصادرات والواردات[٣].

وإلي الغرب من المسرح الصغير بالمدينة وعلي بعد ٢٥٠متر كان يوجد الحي السكني، الذي تحمل مساكنه التخطيط الكلاسيكي للعمارة الرومانية في المغرب، حيث توجد حديقة محاطة بفناء مفتوح، تفتح حوله الحجرات التي زخرفت بأشكال متنوعة من الفسيفساء الرومانية التي تمثل مناظر طبيعية وأسطورية ومناظر الفصول الأربعة، ومناظر أخري تعكس الحياة الرومانية في هذه المدينة[٤].

٢- مدينة ثوبوربو الكبري Thuburbo Maios(هنشير القصبات بتونس حالياً) [٥]

وهي مدينة نوميدية الأصل، استولي عليها القرطاجيون في القرن الخامس قبل الميلاد، واستولي عليها الرومان بعد سقوط قرطاجة عام ١٤٦ق.م[٦].وفي عهد الإمبراطور "أغسطس"

---

(١) Plinius.: V,30.

(٢) Caesar.: Bell.Afri.97.

(٣) Slim.H.: Thysdrus in The Princeton Encyclopedia of Classical Sites,Princeton,1976,P.919.

(٤) Yacoub.M.: Une Mosaique de Thyesdrus, in: L'Afrique, Le Gaule, La Religion a L'epoque romaine, 1994,P.70-80.

(٥) انظر الخريطة.

(٦) Plinius: V,5-29.; Slim,H.: Histoire de la Tunisie L'Antiquite,Tunis,1964.P.169.

أقامت بها فرقة من الجنود الرومان وكانت تابعة لمستوطنة جوليا Colonia Iulia، وفي عام ١٢٨م. في عهد الإمبراطور "هادريان" استقلت المدينة ورفعت إلي مرتبة بلدية رومانية وسميت "بلدية المعين هادريان" Municipium Aelium Hadrianum، وفي نهاية القرن الثاني الميلادي في عهد الإمبراطور "كومودوس" Commodus، تم ضم المستعمرتين تحت اسم Colonia Iulia Aelia Aurelia Commoda Thuburbo Mius، وكانت المدينة ذات طابع زراعي مما ساعد في ازدهارها ونموها[١]

٣- مدينة دوجا Thugga (دوقة Dougga بتونس حالياً)

تقع علي بعد ١٠٠كم غرب تونس، وهي نوميدية الأصل[٢]، ومقر إقامة الملوك النوميديين بعد الحرب البونية الثالثة، حتي ألحقت عام ١٤٦ق.م. بولاية أفريقيا الرومانية، وفي عهد الإمبراطور" كاراكالا"Caracalla عام ٢٠٥م. تحولت مدينة "دوقه" إلي بلدية رومانية ثم إلي مستعمرة رومانية تحت إسم "مستعمرة أوريليان الإسكندر" Colonia Licinia Septimia Aurelia Alexandriana[٣].

وقد عثر بالمدينة علي آثار كثيرة من المنازل والقصور الفخمة نذكر منها علي سبيل المثال المنزل الفخم الذي أطلق عليه اسم منزل الإله ديونيسون (باخوس)، حيث تصور علي أرضياته الفسيفسائية هذا الإله وهو ينتصر علي الغزاة، وهو مكون من طابقين ويطل الطابق العلوي علي شارع معبد غير معروف الهوية ويوجد سلم من أربع عشرة درجة تصل إلي الطابق الأرضي وتنتهي بفناء وبوابة تطل علي بقية الحجرات[٤].

٤- مدينة سوفيتولا Sufetula (سبيطلة الحالية بتونس)

تأسست بلدية سوفيتولا في القرن الأول قبل الميلاد[٥]، ثم تحولت إلي مستعمرة في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي في عهد الإمبراطور فسباسيان (٦٩-٧٩م.) كمدينة تجارية لخدمة التجارة التي تمر في المنطقة، وأصبحت في عهد الإمبراطور أنطونينوس بيوس(١٣٨-

---

(١) عزت زكي حامد قادوس: آثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني، القسم الأفريقي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥م، ص٢٣٥.

(٢) انظر الخريطة.

(٣) Khanoussi,M.: Dougga,Tunisie,1998,P.9.

(٤) عزت زكي حامد قادوس: مرجع سابق، ص٢٤٨.

(٥) انظر الخريطة.

١٦١م.) من المراكز الهامة في تجارة المغرب، ولا يزال يوجد آثار لثلاثة معابد رومانية داخل ساحة مستطيلة، وحمامات ومسرح[١].

٥- مدينة "كيرتا" أو "سيرتا" Cirta(قسنطينة Cosntene بالجزائر حالياً)

تقع في وسط منطقة جبال أطلس التل علي الحافة الشمالية للوادي علي نهر الإمبساج وتبعد عن الساحل حوالي ٨٠كم[٢]، وتشمل الجزء الشرقي من الجزائر الحالية، والجزء الغربي من تونس الحالية، تأسست في حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، كمستوطنة قرطاجية[٣]، وأصبحت عاصمة للملوك النوميديين "سيفاكس" و"ماسينيسا" من بعده، ذكرها كثير من المؤرخين القدامي في كتاباتهم، وخاصة في فترة حرب "يوجورتا" الزعيم النوميدي ضد الرومان(١١١-١٠٥ق.م.)[٤]، وتولي أمر المدينة وما حولها بعد انتصار قيصر عام ٤٦ق.م.علي خصومه في موقعة "ثابسوس" مندوبه "سيتيوس"، ثم أُلحقت مدينة سيرتا بولاية أفريقيا الجديدة التي أسسها قيصر عام ٤٦ق.م.، ثم صارت جزءاً من ولاية نوميديا الرومانية التي تأسست عام ٤٠م.[٥].

---

(١) Tollem.B.: Sufetula, in: Antike Statten am Mittelmeer, Darmstadt,1999, P.331.

(٢) انظر الخريطة.

(٣) أبو المحاسن عصفور: المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٨١م، ص ٣٣-٣٧.

يُعتقد أن كلمة "سيرتا" سامية الأصل، وهي تحريف للاسم الأصلي "كرتن" Krtn، ومعناه المدينة أو القلعة، وقد أشير إلي إسم سيرتا لأول مرة في كتابات المؤرخين الإغريق والرومان ضمن أحداث نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، التي جرت بين الملك"سيفاكس" ملك نوميديا الغربية والملك "جايا" وابنه "ماسينيسا" ملوك نوميديا الشرقية، بعد أن انحازا الأخيران إلي الرومان في حروبهم ضد تحالف قرطاجة وسيفاكس واستعادة العرش النوميدي الذي حاول "سيفاكس" وقرطاجة أن ينتزعاه.

Berger,Ph.: Actes des anciens congres des orientalistes, Paris, 1897,P.286-292.

Charrier,L.: Numidie et la Mauritanic, ed: Protat et Freres, 1912 .P.43.

(٤) Mazard,M.: Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque,Paris,1958.P.156.

Caesar: Bell.Afri.P.97,4.

Sallustius: Bell.Iug. LVII.

Appianus: III.II.XIV.96.

(٥) محمد الصغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، أربعة أجزاء، الطبعة الأولي،دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،٢٠١١م.، ص٤٣٥، ٤٣٦.

تعود تسمية "سيرتا" إلي بداية الاحتلال الروماني لنوميديا الذي يؤرخ له بعام ٤٦ ق.م. وذلك عندما اصبحت "سيرتا" عاصمة للاتحاد السيرتي الذي أنشأه"ستيوس". أما التسمية الحالية "قسنطينة" التي أعاد بناءها الإمبراطور"قسطنطينConstantine (٣٠٦-٣٣٧م.)، ورمم أسوارها ثم جملها وأعطاها اسمه عام ٣١٣م. وقد ظهر الإسم الأصلي للمدينة علي عملة برونزية عثر عليها بضواحي المدينة، تحمل علي وجهها رأس امرأة يعلوه

وفي عهد الإمبراطور"هادريان" عام ٢٢٦م. عرفت باسم "مستعمرة الشرف والفضيلة والقوة جوليا كيرتا" "Colonia Iulia Iuvenali Honoris et Virtutis Cirta"، وأصبحت خلال القرن الثاني الميلادي مركزاً إدارياً هاماً وسميت "جمهورية المستعمرات الأربعة" Res Publica Quattuor Coloniarum Cirtensium[١].

٦- مدينة كويكول Cuicul (جميلة Djemila أو مليلي Mlili بالجزائر حالياً)

شيدها الإمبراطور"نيرفا"Nerva في عام٩٦م. وكانت في الأصل موطناً لعدد من القبائل المغربية، وتقع عند التقاء طريقين رئيسيين من الطرق العسكرية، وهو الطريق الذي يمتد من "سيرتا" في الشرق إلي "سطيفيس" Stifis (سطيف بالجزائر حالياً) في الغرب، ومن ميناء "سالداي"(جليجلي بالجزائر حالياً) في الشمال إلي مدينة لامبايزيس Lambaesis (تازولت بالجزائر حالياً) في الجنوب، اشتهرت "المدينة بخصوبة أراضيها، وكانت تقع بين واديين مما جعلها محطة تجارية اقتصادية من الدرجة الأولي، وهاجر إليها الكثير من السكان المغاربة والوافدين للإقامة فيها[٢].

وتحتوي مدينة "جميلة" علي الكثير من المنازل والفيلات والقصور الفخمة نذكر منها علي سبيل المثال، منزل لأحد أغنياء المدينة يدعي "كاستوريوس" Castorius والذي بني علي مساحة شاسعة تحتل جزيرة سكنية بمفرده، وهو محاط بأربعة شوارع من جميع الجهات، ويمر

تاج يأخذ شكل أبراج صغيرة مسننة في أعلاها، تتخللها فتحات يعتقد بأنها تشير إلي أبواب سيرتا القديمة أثناء حكم الملوك النوميديين، أما الرأس المتوج داخل العملة البرونزية؛ فقد وجدت به كتابة بونية تتكون من أربعة أحرف هي(ك ر ط ن) تشير إلي إسم "كيرتا" أو "سيرتا" أما خلف الرأس المتوج داخل نفس العملة البرونزية المشار إليها آنفا؛ فتظهر كتابة بونية جديدة قرئت من قبل المختصين(بد ملقارت وحانو) ولربما يشير هذان الاسمان إلي القاضيين(سوفيتيس) اللذين كانا يشرفان علي الجانب الديني حينذاك في المدينة أو يحكمانها، ومهما يكن الأمر فإن صور القلاع التي تعلو تاج المرأة التي ترمز إلي إلهة المدينة "تيشي" تعطينا فكرة علي أن "سيرتا" كانت منذ بدايتها محصنة للغاية، وهو ماجعل كل من "ماسينيسا" و"يوجورتا" يحاصرانها ويعجزان عن الدخول إليها، إلا بعد أن تفتح لهم الأبواب من قبل ساكنيها.

محمد الصغير غانم: المساهمة الحضارية البونية في المملكة النوميدية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة قسنطينة، الجزائر، ١٩٩٦م، ص٦٧.

Muller,L.A.F.: Numismatique de l'ancienne Afrique, Vol.III, Supplement, editor, Bologne, Italie, 1869,P.64.

Tollem,B.: Cirta,in,Antike Stadte am Mittelmeer, Darmstadt, 1999,P.842.

(١) Strabo: Geography(Geographia), Translated by: Horace W.,(L.C.L.), London, 1960.Vol.VIII.169-183.

(٢) Fevrier,P.A.: Cuicul,in The Princeton Encyclopedia of Classical Sites, Princeton,1979,P.249.

من أمامه الشارع الرئيسي الذي يقطع المدينة من الشمال إلي الجنوب، وقد احتوي هذا المنزل علي حمامات خاصة، مما يدل علي فخامة ورفاهية سكان المنزل ويعتبر من أهم المنازل في مدينة "جميلة"، ومن الأمثلة أيضاً منزل الحمير، الذي بناه أحد الأثرياء في المدينة، والذي زخرف بزخارف رائعة، وعثر علي قطعة من الفسيفساء في أرضيات هذا المنزل نقش عليها اسم صاحب المنزل"أسيونس" Asinus Nica ، وبني هذا المنزل علي مساحة كبيرة، ويطل علي الشارع الرئيسي للمدينة الذي يصل من الشمال للجنوب، ومن منتصف القرن الثاني الميلادي، ونتيجة للتوسع العمراني الذي شهدته المدينة وما تبعه من زيادة في عدد السكان، بنيت المنازل خارج أسوار المدينة، مثل منزل الإله باخوس، ومنزل أوروبا وغيرها من المنازل[١].

٧- مدينة ثاموجادي Thamugadi (تيمجاد بالجزائرحالياً)

هي من أهم المدن الرومانية ليس في المغرب فحسب، بل في كل ولايات الإمبراطورية الرومانية، تأسست عام ١٠٠م. في عهد الإمبراطور "تراجان" كمستعمرة لقدامي المحاربين الرومان تحت اسم" Colonia Marciana Traiana Thamugadi، وتبعد حوالي ٢٠كم إلي الشرق من مدينة"لامبايزيس"، وتقع تيمجاد علي الطريق الذي يمر من لامبايزيس في الشرق إلي مدينة ثيفستي Theveste (تبسة الحالية بالجزائر) في الغرب، ثم من الطريق الشمالي الشرقي الذي يؤدي إلي "حيدارا" و"قرطاجة" بتونس، وهو الطريق الذي استخدمه الرومان للتقدم ناحية الجنوب للسيطرة علي القبائل المغربية المتمردة[٢].

٨- مدينة كالما Calama (قالمة بالجزائر حالياً)

مدينة قرطاجية يرجع تأسيسها إلي القرن الخامس قبل الميلاد، ثم دخلت تحت سيطرة مملكة سيفاكس خلال نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، ثم آلت بعد ذلك إلي الملك ماسينيسا وأحفاده من بعده واتخذها يوجورتا مركزاً للهجوم في حروبه ضد الرومان، وكانت تمتد شمال المدينة الحالية، بحيث تغطي كامل المنطقة السهلية الواقعة علي سفح جبل الماونة، وقد وجد اسمها مكتوباً علي بعض النقوش البونية الحديثة، في نفس المدينة، وبعد فك رموزها تبين أن اسم

---

(١) عزت زكي حامد قادوس: مرجع سابق، ص٣٠٢.

(٢) أحمد صفر: مدنية المغرب العربي في التاريخ، الجزء الأول، دار نشر بوسلامة، تونس، ١٩٥٩م.، ص٣٥٥.

هذه المدينة سامياً "ملكا" Malaca وأن الرومان فيما بعد قرأوا الاسم مقلوباً، فأصبحت المدينة تعرف بعد ذلك بـ"كالما"[١].

وتتفق الدراسات في مجموعها بناء علي البقايا المادية التي وجدت منتشرة في في نفس الموقع الأثري، بأن ملكا أو كالما أو قالمة فيما بعد، كانت متأثرة إلي حد كبير بالحضارة البونية، يشهد علي ذلك دستورها الذي بقي كما هو حتي فترة متأخرة من الحكم الروماني، بحيث كانت تحكم من قبل مجلس قضاة ثلاثي، بالإضافة إلي إنتشار المقابر البونية في الناحية الشمالية الغربية من المدينة[٢].

فقد ورد في أحد النقوش اللاتينية أن المدينة بقيت حتي حكم الإمبراطور "تراجان" يحكمها الدستور الفينيقي من خلال قاضيين(سوفيتيس)، بالإضافة إلي حاكم روماني يساعده مجلس الشيوخ، وأن هؤلاء الحكام الثلاثة كانوا يختارون من المواطنين غير الرومان القاطنين في المدينة، ولكن لم يشر النقش إلي هوية هؤلاء الحكام هل كانوا من السكان الأصليين أم من غيرهم[٣]، أما التسمية الحالية قالمة فلا يستبعد أن تكون ذات أصل مغربي نسبة إلي القبائل التي كانت تقطن تلك الأماكن[٤].

٩- مدينة "ماداورا" Madaura (مداوروش بالجزائر حالياً)

كانت ماداورا خلال القرن الثالث قبل الميلاد تدخل ضمن المنطقة التي تمثل الحد الفاصل بين نوميديا وقبائل الجيتوليين في الجنوب، حيث آلت بعد وفاة الملك النوميدي "جايا" والد "ماسينيسا" عام ٢٠٦ق.م. إلي الملك "سيفاكس" الذي ساعدته قرطاجة للاستيلاء علي نوميديا الشرقية، ولكن بعد مساعدة الرومان لـ"ماسينيسا" في استرجاع ملك آبائه وأجداده، دخلت مدينة

---

(١) Judas,A.: Etude Demonstrative de Iangue Phenicienne et Ia Langue Punique,(R.S.A.C.),1866,P.262-309.

محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية والحضارة البونية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، الجزائر، ١٩٩٨م، ص١٥١.

(٢) محمد الصغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، الجزء الرابع، مرجع سابق، ص٣٧٤، ٣٧٥.

(٣) Benabou,M.: La Resistance Africaine a la Romanisation, Paris, 1976,P.119-288.

(٤) محمد الحاج صادق: المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، بلجيكا، ١٩٨٣، ص١٦.

"ماداورا" ضمن المدن النوميدية الأخري المحيطة بها، ضمن مملكة "ماسينيسا"، ثم تحولت إلي مستعمرة رومانية واشتهرت بمدارسها وعلمائها، وتمسك سكانها بديانتهم المغربية القديمة[١].

١٠- مدينة "ديانا فيتيرانوروم" Diana Veteranorum(زانة بالجزائر حالياً)

تقع في الشمال الغربي من مدينة لامبايزيس[٢]، وقد احتفظت باسمها منذ القدم، ولم تعرف باسم "زانة" إلا منذ الفتوحات الإسلامية، وتشير المصادر التاريخية، إلي أن "ديانا" قد شيدت في عهد الإمبراطور "تراجان" عام ١٠٧م.، بواسطة جنود الفرقة الثالثة الأوغسطية بغرض وضع حد للثورات والاضطرابات التي كان يقوم بها الأهالي من الشمال الغربي[٣].

وقد ساعد موقع المدينة في أن تكون ذات طبيعة عسكرية منذ بدايتها لتوطيد الأمن والتصدي للقبائل الثائرة، بالإضافة إلي تدعيم سياسة الاستيطان الروماني في المنطقة، فقد استقرت بها في بداية الأمر جالية رومانية من أسر الجنود المقيمين في معسكرها، وفي القرن الثاني الميلادي رفعت إلي مرتبة بلدية رومانية، ويظهر ذلك من النقش اللاتيني المهد إلي الإمبراطور "أنطونينوس بيوس" Antoninus Pius (١٣٨-١٦١م.)، وكان ذلك في عام ١٤١م.، وكانت المدينة مركزاً للقري الفلاحية والقلاع المحيطة بها، حيث بلغ عدد التجمعات السكنية والقري الفلاحية التي كانت تابعة لها حوالي ٣٦٠ تجمعاً، وكان لكل واحدة منها حاكمها الخاص[٤].

١١- مدينة ثيفستي Theveste (تبسة أو تباسا Tipasa الحالية بالجزائر)

هي من مدن الجزائر القديمة التي ظهرت فيها تأثيرات الحضارة البونية، ثم الرومانية من بعد ذلك، استولي عليها القرطاجيون عام ٢٤٧ق.م. بقيادة القائد القرطاجي "حنون"Hannon وعندما أشتدت الحرب بين روما وقرطاجة أخذ هذا القائد من أهلها ثلاثة آلاف رهينة وقامت أسرهم بإفتدائهم فيما بعد، ثم آلت المدينة عام ٢٠٠ق.م. إلي النوميديين، ومن الأسماء التي

---

(١) محمد الصغير غانم: مرجع سابق، ص٣٨٢، ٣٨٤.

(٢) "زانة" مشتقة من الكلمة الفارسية الزون أي الصنم الذي يعبد عند الوثنيين. وكلمة "ديانا" نسبة إلي الإلهه الإسطورية الرومانية "ديانا" إلاهة الصيد والطبيعة المتقلبة والمقتبسة من الأساطير الإغريقية. و"فيتيرانوروم" نسبة إلي الفرقة الثالثة الأوغسطية، التي قامت بتأسيس هذه المدينة في بداية القرن الثاني الميلادي لأغراض عسكرية دفاعية. محمد الصغير غانم: مرجع سابق، ص٤١١.

(٣) أبو عبيد الله البكري: وصف أفريقيا، المكتبة الأمريكية الشرقية، باريس، ١٩٦٥م.، ص٥٤.

Gsell,S.: Atlas Archeologique de l'Algerie,Paris,1909.,P. 62.

(٤) Tissot,Ch.: Geographie Comportee de la Province Romain d'Afrique, Paris,1956,P.484.

أطلقت عليها "هكتامبيلوس" تشبهاً بمدينة طيبة المصرية ومعناها المدينة ذات المائة باب، وكانت مدينة "تبسة" من أغني المدن المغربية منذ القدم، بسبب علاقتها التجارية مع بعض المدن الأخري، وما تم اكتشافة من لقي أثرية تشير إلي ذلك، مثل الجرار الفخارية التي ترجع إلي القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، وعدة نقود بونية ومغربية منتشرة في المنطقة(١).

ومع استمرار مدينة "تبسة" كمركز تجاري استراتيجي هام بين الساحل والصحراء، أثناء فترة حكم الملوك النوميديين، جعلها الرومان تتحكم في طرق التجارة في المنطقة الشرقية لجبال الأوراس التي كانت تستقر بها قبائل الموسولامي، مما دفع الإمبراطور فسباسيان(٦٩-٧٩م.) ينقل الفرقة الثالثة الأوغسطية إليها عام ٧٥م.، ومنذ ذلك التاريخ دخلت مدينة "تبسة" تحت سيطرة الرومان، وأصبح لها مجلسها البلدي الخاص بها وبعض المرافق العمرانية العامة، وهكذا لعبت المدينة دوراً سياسياً واقتصادياً هاماً فترة الاحتلال الروماني للمغرب، مما جعل الإمبراطور "كاراكالا"(١٩٨-٢١٧م.) فيما بعد يمنح جميع سكانها حق المواطنة الرومانية(٢).

١٢- مدينة فولوبيليس Volubilis(وليلي أو قصر فرعون بالمغرب الأقصي حالياً)

كانت "فولوبيليس" مدينة هامة قبل العصر الروماني ومنذ القرن الثالث قبل الميلاد، حيث ورد ذكرها عند الجغرافي اليوناني "بطليموس"(٣)، والمؤرخ الروماني "بلينيوس"(٤)، وفي القرن الأول قبل الميلاد كانت عاصمة السكان الأصليين في هذه المنطقة، وقد اختارها الملك "يوبا الثاني" لتكون مقره الثاني بعد مدينة قيصرية، وقد وقفت المدينة وقت الاضطرابات التي وقعت بعد موت الملك "بطليموس الثاني" عام ٤٠م. إلي جانب الرومان، ونتيجة لذلك كافأها الإمبراطور الروماني"كلاوديوس الأول"Claudius I(٤١-٥٤م.) بأن منحها مرتبة المدينة الرومانية.

١٣ـ مدينة "باناسا" Banasa (سيدي علي بوجنون حالياً بالمغرب الأقصي).

تقع ولاية موريتانيا الطنجية Mauretania Tingitana علي الطريق من مدينة طنجة إلي مدينة "سالا" Sala، وقد ورد ذكر هذه المدينة عند "بلينيوس" و"بطليموس"، ويبدو أن موقعها

---

(١) Leglay,M.: Saturne Africain, Monuments,T.I,Paris,1961,P.332-360.

(٢) Gsell,S.: Musee de Tebessa,T.III,Paris,1918,P.34.

(٣) Ptolemius: Geography,ed.Muller, C.,(L.C.L.), Paris,1901.IV.P.1-14.
Etienne,R.: Maisons et hydraulique dans le quartier Nord-Est aVolubilis, Intérêtpublicationseffetsmarocaine, Maroc,1954.P.326.

(٤) Plinius: V.5.

كان مأهولاً قبل القرن الرابع قبل الميلاد، ثم أصبحت قرية موريتانية في القرن الثاني قبل الميلاد(١).

تطورت هذه المدينة في عهد الإمبراطور "أغسطس" إلي مستعمرة رومانية باسم Colonia Iulia Valentia Banasa في الفترة بين وفاة الملك "بوجود" ملك موريتانيا واعتلاء الملك "يوبا الثاني" العرش ٣٣-٢٥ق.م.، وكانت أول مستعمرة رومانية بعد وفاة آخر ملوكها "بطليموس"عام ٤٠م. وتحويلها إلي ولاية رومانية. وفي عهد الإمبراطور "ماركوس أوريليوس"(١٦١-١٦٩م.) منحها اسمه Colonia Aurelia Banasa، وبلغت أقصي اتساع لها في القرن الثالث الميلادي خاصة في عهد الإمبراطور"كاراكالا" الذي أعفي المدينة من الضرائب، وبنيت هذه المدينة الرومانية علي محور شمالي شرقي إلي جنوبي غربي علي مساحة مستطيلة وقسمت إلي عدة جزر سكنية غير متساوية(٢).

ثالثاً- أهم الموانئ

وجد الرومان عند احتلالهم للمغرب وعلي سواحله مدناً مرفأية(موانئ)، تتمتع ببنية تحتية، فلم يبذل الرومان أي جهد في تأسيس الموانئ التي خلفها القرطاجيون واللذين كان عملهم الأول التجارة البحرية، وإهتموا إهتماماً بالغاً بالموانئ، فهي كانت علي أعلي المستويات- ولكن الرومان عملوا علي تحديث تلك الموانئ وربطها بالطرق البرية التي توصلهم إلي مراكز الانتاج في المناطق الداخلية، وكانت هذه الموانئ من أهم المدن في المغرب(٣).

١- ميناء جيتيس Gightis (بوغرارة بتونس حالياً)

يقع هذ الميناء علي الساحل الجنوبي لتونس، وشرق الطريق المؤديه إلي مدينة جربه عبر مدينة "الجم"، وكان ميناء "جيتيس" واحد من أهم المراكز التجارية في خليج السيرت، وتم تأسيسه في العصر القرطاجي، وكان مركزاً تجارياً ما بين قرطاجة وبلاد اليونان ومصر، وبعد سقوط

---

(١) Plinius: V.5.; Ptolamius: IV,1,7.

(٢) Thouvenot,R.: Une Colonie Romaine.Op.Cit.,P.548-558.

- ----------: Inscription sur bronze trouvée a Volubilis, la maison d'Orphée a Volubilis. Deux. Mosaiques de Volubilis. A sujets mythologiques. Statuette de Mercure trouvée a Banasa. Maison romaine a sala(Chella). Marques d'amphores romaines effets marocaine, trouvées au, Intérêt publications,Maroc,1945

Euzennat,M.: Banasa. Op.Cit.,P.140.

(٣) عقون محمد العربي: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٨م.، ص١١٦.

قرطاجة عام ١٤٦ق.م. دخل هذا الميناء تحت النفوذ النوميدي، وعندما أصبحت نوميديا ولاية رومانية عام ٤٠م. أصبح خاضعاً لسيطرة الرومان، وقد مر ميناء "جيتيس" بفترات ازدهار بسبب ما يحيط به من مزارع للزيتون وتجارة مع ميناء "أوستيا" في إيطاليا، وقد أثر وضعه الاقتصادي علي وضعه السياسي حيث منحه الإمبراطور "هادريان" والمدينة التي سميت باسمه حق المدينة اللاتينية ثم رفعت المدينة إلي مرتبة المدينة الرومانية في عصر الإمبراطور"انطونينوس بيوس"، ورغم اهتمام الرومان بهذه الميناء إلا أنه ظل متاثرة بالحضارة القرطاجية والمصرية أكثر من الحضارة الرومانية، وقد ظهر هذا التأثير واضحاً في الديانة المصرية التي انتشرت بالمدينة المحيطة به وفي العمارة والزخرفة(١).

واكتشف في مدينة "جيتيس" العديد من المنازل والفيلات الكبيرة وأهمها فيلا ضخمة تطل علي الشاطئ وكانت مكونة من طابقين، ولها فناء مكون من عشرين عمود غطيت بالأستكو تفتح عليه الحجرات التي زينت أرضياتها بالفسيفساء، وكانت جدرانها مغطاة بالأستكو الملون وبالمنحوتات البارزة(٢).

٢- ميناء أيول Iol (شرشال Cherchel بالجزائر حالياً)

تأسس ميناء "أيول" في القرن الرابع قبل الميلاد غرب نوميديا وكانت ملتقي التجارة القرطاجية مع الجنوب، اتخذه الملك يوبا الثاني ملك موريتانيا والمدينة التي سميت باسمه مقراً لإقامته وأطلق عليها اسم مدينة قيصرية، وأصبحت في عام ٤٠م. في عهد الإمبراطور"جايوس كاليجولا" Gaius Caligula (٣٧-٤١م.)، عاصمة لولاية موريتانيا الشرقية، ورفعت إلي درجة مستوطنة رومانية في عهد الإمبراطور "كلاوديوس الأول" Claudius I (٤١-٥٤م.)(٣).

٣- ميناء هيبورجيوس Hippo Regius(عنابة بالجزائر حالياً)

---

(١) Constans,L.A.: Gightis, Etude d'Histoire et d'Archeologie sur un Emporium de la petite Syrte, Extr. Des Nouvelles Archives des Missions scientifiques, 1916,P.12.

(٢) عزت زكي قادوس: مرجع سابق، ص٢٧٥.

(٣) Lassus,J.: Iol,in, The Princeton Encyclopedia of Classical Sites, Princeton,1976,p.413.

Fittschen,K.: Juba II und Seine Residenz Iol Caesarea(Cherchel)in,Horn,H.G.- Ruger, Ch.B.,Die Numidea. Reiter und Konige nordlich der Sahara, Bonn,,1979,P.227-242.

تأسس في القرن الثامن قبل الميلاد علي يد الفينيقيين، والذي أطلق عليه في بداية الأمر اسم "هيبو" Hippo، وبعد هزيمة "هانيبال" القرطاجي في معركة "زاما" عام ٢٠٢ق.م. وحتي نهاية الحرب البونية الثالثة وتدمير قرطاجة عام ١٤٦ق.م.، كان ميناء "هيبو" والمدينة التي سميت باسمه مقراً للملوك النوميديين ومن هنا اكتسبت المدينة صفة الملكية Regius وأصبحت تعرف بمدينة "هيبو الملكية" Hippo Regius ، وفي عهد "قيصر" ضمت المدينة إلي ولاية أفريقيا الجديدة(١).

٤ـ ميناء ليكسوس Lixus(العرائش حالياً بالمغرب الأقصي)

تأسس حوالي عام ١١٠٠ق.م. علي يد التجار والبحارة الفينيقيين، وعاصر تأسيس ميناء "أوتيكا" في تونس، و"قادس" في أسبانيا، وعرف عند الفينيقيين باسم ليكس Liks، ولم يعثر بالمدينة علي أي آثار تعود إلي ماقبل القرن السابع قبل الميلاد، حيث استولت عليه قرطاجة بعد سقوط صور وجعلته محطة تجارية وسيطة بين قرطاجة وجنوب المغرب، واشتهر كمركز لإنتاج الزيت Garum المستخرج من الأسماك، والملح وزيت الزيتون، وبعد سقوط قرطاجة أدار الرومان هذه المعاصر، ووصل الميناء إلي أوج إزدهاره، وسكت به عملة تحمل اسمه، ومن أسمائه أيضاً ميناء الشمس، وفي عصر الإمبراطور "كلاوديوس" ما بين ٤١-٤٥م. رفعت المدينة التي تسمت باسمه إلي مرتبة مستوطنة رومانية، وكانت أهم مدن موريتانيا الطنجية، ومنذ منتصف القرن الثالث الميلادي تأثرت المدينة بثورات المغاربة ضد الرومان، مما أدي إلي إهمال مصانع الزيوت بها، ثم بني حولها سور ضخم لحمايتها مما جعلها تزدهر مرة أخري كميناء تجاري(٢).

وقد عثر علي آثار منازل كثيرة بالمدينة، وهي تقع في الجانب الشمالي من مبني الأكروبول، ومعظمها يرجع للقرن الثاني الميلادي، وبنيت علي الطريقة البونية، مثل منزل الآلهة هليوس، ومارس وريا سيليفيا، ومن أحسن المنازل في المدينة منزل "الثلاث حوريات" وسمي بذلك، لاحتوائه علي قطعة من الفسيفساء الرائع تمثل ثلاث حوريات، وفيسيفساء أخري تصور أشكال لطيور وآلهة أخري(٣).

---

(١) Lassus,J.: Hippo Regius,in, The Princeton Encyclopedia of Classical Sites, Princeton,1976,P.494.

(٢) Storm,E.: Lixus-antike Industriestadt am Atlantik. In: Nord Africa: Antike-Christentum-Ilam,1987,P.57-94.

(٣) Tollem,B.: Op.Cit.,P.858.

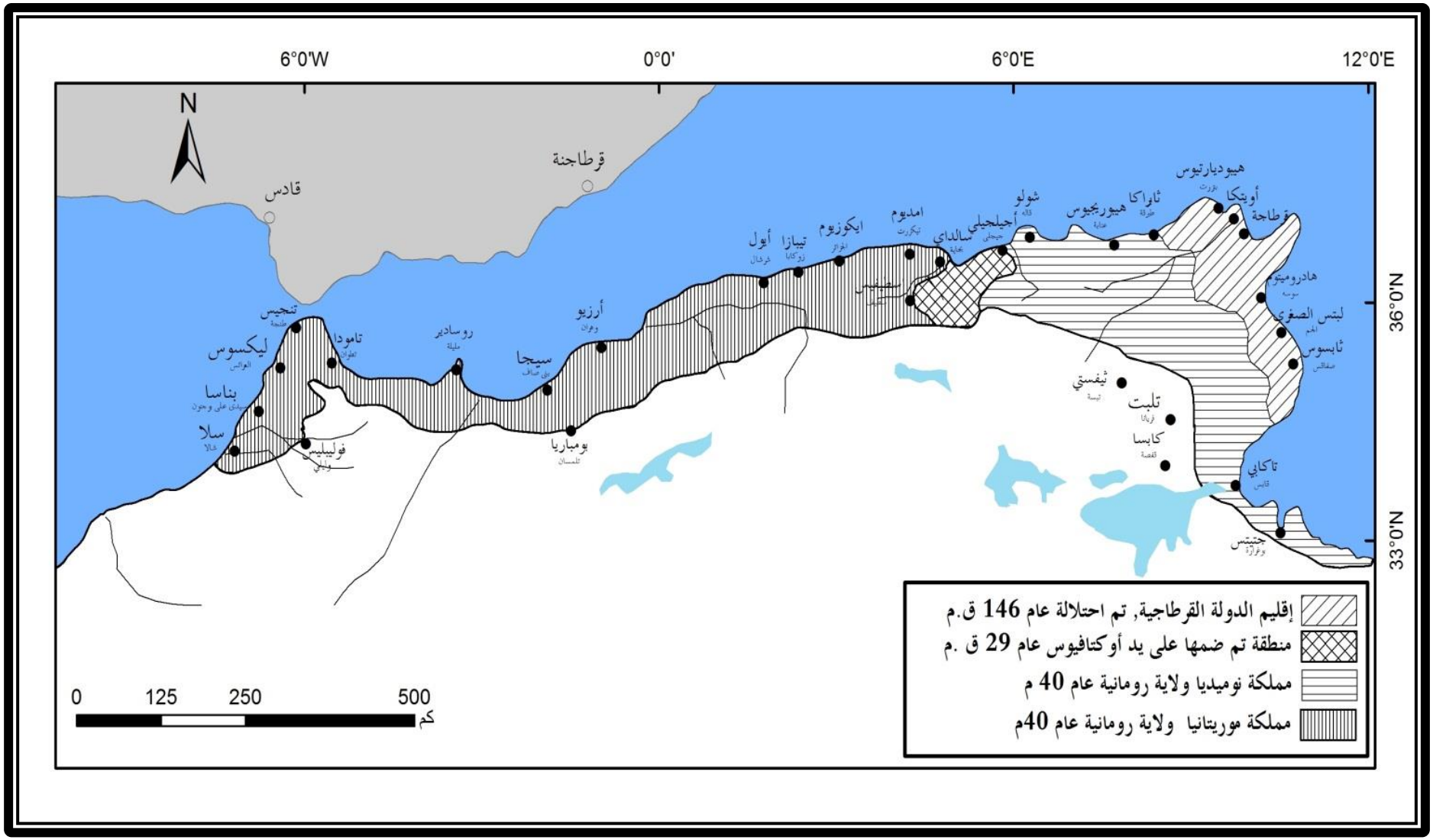
6°0'W
0°0'
6°0'E
12°0'E
36°0'N
33°0'N
N
قادس
قرطاجنة
هيبوديارتيوس
أوتيكا
قرطاجة
ثاراكا
هيبوريجيوس
شولو
أجيلجيلي
سالداي
امديوم
ايكوزيوم
تيبازا
أيول
هادروميتوم
ليبتس الصغرى
ثابسوس
تنجيس
تامودا
روسادير
أرزيو
سيجا
ليكسوس
بناسا
سلا
فوليبليس
بومباريا
ثيفستي
تلبت
كابسا
تاكابي
جيتيتس
0
125
250
500
كم
إقليم الدولة القرطاجية, تم احتلالة عام 146 ق.م
منطقة تم ضمها على يد أوكتافيوس عام 29 ق .م
مملكة نوميديا ولاية رومانية عام 40 م
مملكة موريتانيا ولاية رومانية عام 40م

الخاتمة

إن نظرية جميع سكان المغرب قد هاجروا إليها، ونفي الأصالة عنهم كما ذكر بعض المؤرخيين المستعمريين وللأسف مانقله عنهم بعض المؤرخين العرب والمحليين، دون نقد وتحليل؛ إلا القليل منهم، يدعم فكرة حق الجميع في التواجد، وهي فكرة روج لها الإستعمار علي مر العصور؛ لتحويل الشعوب المغربية إلي جماعات تفكر بذهنية جاليات أجنبية فوق أرضها وعندئذ يسهل اقتلاعها من جذورها.

فقد تركز الوافدون بمختلف أصولهم وانتماءاتهم في المدن والأقاليم العمرانية مشكلين خليطاً من مختلف الأجناس، سادته روما، وكانت نسبة الأهالي فيه متفاوتة العدد والأهمية بين جهة وأخري تبعاً لأهمية الأرستقراطية المحلية المندمجة فيه، في حين امتازت القري والبوادي بكثرة السكان المغاربة، وانخفاض نسبة التأثر بالحضارة الرومانية.

واتضح من خلال بحث خريطة مجتمع المغرب البشرية أن الفئات الأربع التي شملت مختلف سكان المغرب(الرعاة والتجار والحرفيون والجنود) قد شكلتها الظروف الناجمة عن حركة الاستيطان وسياسة الرومان تجاهها، فقد أجبرت الضغوط المحيطة فئة البدو الرعاة علي مناهضة الوضع الخانق وانتهاز الفرص المواتيه للنيل منه، ومن ثم شكلت هذه الفئة قوة ضاغطة علي مناطق الإنتاج الزراعي الخاضعة للاستيطان الروماني، ودخلت السلطة معهم في صراع، خاصة أثناء العهد السيفيري الذي ترك البصمات الأثرية المتعلقة بهذا الصراع في جنوب ولايتي نوميديا وموريتانيا، وبدلاً من أن تفضي تلك الأعمال العسكرية الموجهة ضد الرعاة إلي التحكم في هذه الفئة، أدت إلي مضاعفة مشكلة الرعاة عندما بالغت في حملات التشتيت واحتلال مناطق الرعي في السهوب الغربية، وأبرز جانب لهذه المشكلة في تصوري يتجلي في القضاء علي الغطاء النباتي بالسهوب وهوامش الصحراء نتيجة الاستهلاك المكثف بواسطة قطعان الماشية المتكاثرة، وهكذا لم يعمل احتلال التل من طرف الرومان علي فتح الصحراء بواسطة الرعاة كما ذهب إلي ذلك كثير من المؤرخين وعلي رأسهم "ستيفان جزيل".Gsell,S فحسب، بل إنه ساهم في استنفاد الثروة النباتية والحيوانية لمناطق الجنوب. الأمر الذي عجل بزحف ظاهرة التصحر علي تلك المناطق التي ذكر كتاب القرن الأول الميلادي بأنها كانت كثيفة النباتات.

فكانت ظاهرة تغليب الزراعة والعمران علي الرعي والبداوة التي مارسها الرومان بالقوة في بلاد المغرب نتيجة النمو الديموجرافي، وتزايد الحاجة إلي الإنتاج الزراعي قد أحدثت حالة من عدم التوازن بين الإنسان والبيئة، تلك الحالة التي بدت للرومان وكأنها صورة من الخلل في الدفاع، وشرعوا في مقاومتها بالوسائل العسكرية، لكنهم في الواقع لم يفعلوا إلا أنهم أجلوا موعد انفجار الأزمة إلي حين.

بينت الدراسة سياسة الاستيطان بوصفه إضافة بشرية زادت من كثافة السكان وانتشارهم في المناطق الزراعية؛ علي إحداث حركة تعمير وتمدين بشكل كبير وسريع، بداية من المدن الساحلية البونية الأصل إلي التوغل نحو الجنوب، فأنشأت مدن رومانية بجانب الموروثة من القرطاجيين، وشهد المغرب نمواً عمرانياً واسعاً في تلك الفترة الاستيطانية، وظهور مدن ومستوطنات وبلديات رومانية وإيطالية، وما تم إضافته إليها من منشآت عامة دينية وثقافية وترفيهية، والعناية بنظم الإدارة فيها وإقامة المشروعات الزراعية وتنمية المحصولات وتمهيد الطرق ورواج التجارة، قد ساعد سكان تلك المدن علي التشبع بروح الثقافة الرومانية، فبعد أن منحوا الجنسية الرومانية شعروا بأنهم أصبحوا جزءاً من الدولة متمتعيين بحقوق جنسيتها كاملة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- العربية والمعربة

١- أبو عبيد الله البكري: وصف أفريقيا، المكتبة الأمريكية الشرقية، باريس، ١٩٦٥م.، ص٥٤.

٢- أحمد صفر: مدنية المغرب العربي في التاريخ، الجزء الأول، دار نشر بوسلامة، تونس، ١٩٥٩م.، ص٣٥٥.

٣- أرسطو: السياسات، ترجمة الأب أوغسطينس بربارة البوليس، بيروت، ١٩٥٧م، ١١-٢٣

٤- آمال مصطفي كمال إبراهيم: نظام الحكم في ولاية أفريقيا الرومانية من ١٤٦ق.م إلى ٢٨٤ م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٣م.، ص١٧٩.

٥- رستوفتزف، م.: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي ومحمد سليم سالم، الجزء الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨١م.، ص٨٧-٨٩.

٦- رشيد سالم الناضوري: المغرب الكبير، الجزء الأول، العصور القديمة وأسسها التاريخية والحضارية والسياسية، الدار القومية للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٦٦م.، ص٣٣٢.

٧- سيد أحمد علي الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠م.، ص٤٥.

٨- شارل أندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، تونس- الجزائر- المغرب الأقصى، من البدء إلي الفتح الإسلامى٦٤٧م، ترجمةمحمد مزالي والبشير بن سلامة، الطبعة الثالثة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٥١م.، ص٢١٨.

٩- عبد العزيز عبد الفتاح حجازي: روما وأفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلي عصر الإمبراطور أغسطس (٢٠٢ق.م إلي ١٤م)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٧م.، ص١٥٣.

١٠- عبد الرحمن بن مرزوق: تأسيس مدينة تيمقاد أو موقادي قديماً، مجلة التراث، جمعية التاريخ والتراث الأثري، ولاية باتنة، دار الشهاب للطباعة والنشر، العدد الثاني، سبتمبر، باتنة، الجزائر، ١٩٨٧م، ص٤٠.

١١- عزت زكي حامد قادوس: آثار العالم العربي في العصرين اليوناني والروماني، القسم الأفريقي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٥م، ص٢٣٥.

١٢- عقون محمد العربي: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٨م.، ص١١٦.

١٣- محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤م.، ص١٩١.

١٤- محمد الحاج صادق: المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، بلجيكا، ١٩٨٣، ص١٦.

١٥- محمد الصغير غانم: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، أربعة أجزاء، الطبعة الأولي،دار الهدي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،٢٠١١م.، ص٤٣٥، ٤٣٦.

١٦- ـــــــــــــــــــــ: المملكة النوميدية والحضارة البونية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولي، الجزائر، ١٩٩٨م، ص١٥١.

ثانياً- الأجنبية

1-Appianus: Roman History(L.C.L.),Translated by: White,H.,edited by: Page, T.E. and Rouse,W.H.D., London, 1933.

2-Berger,Ph.: Actes des anciens congres des orientalistes, Paris,

1897,P.286-292.

3-Charrier,L.: Numidie et la Mauritanic, ed: Protat et Freres, 1912 .P.43.

4-Caesar: (Alexandrian, African and Spanish Wars) the African war(De Bello Africo), Translated by: Way, A.G., edited by: Page,T.E. and Others,(L.C.L),Harvard University Press, London, 1955.

5-Benabou,M.: La Resistance Africaine a la Romanisation, Paris, 1976,P.119-288.

6-Constans,L.A.: Gightis, Etude d'Histoire et d'Archeologie sur un Emporium de la petite Syrte, Extr. Des Nouvelles Archives des Missions scientifiques, 1916,P.12.

7-Etienne,R.: Maisons et hydraulique dans le quartier Nord-Est aVolubilis, Intérêtpublicationseffetsmarocaine, Maroc,1954.P.326.

8-Fevrier,P.A.: Cuicul,in The Princeton Encyclopedia of Classical Sites, Princeton,1979,P.249.

9-Fittschen,K.: Juba II und Seine Residenz Iol Caesarea(Cherchel)in,Horn,H.G.- Ruger, Ch.B.,Die Numidea.

Reiter und Konige nordlich der Sahara,
Bonn,,1979,P.227-242.

10-Gsell,S.: Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord,. 8Tomes,Paris, 1972. ,T.V,P.112.

11-Graham,Alexander: Roman Africa, An Outline of the Raman Occupation Of North Africa, London,1902,P.35.

12-Gsell,S.: Atlas Archeologique de l'Algerie,Paris,1909.,P. 62.

13-Gsell,S.: Musee de Tebessa,T.III,Paris,1918,P.34.

14-Haywood,R.M.: An Economic Survey of Ancient Rome,Vol.IV.Part.1 RomanAfrica.Editedby:TennyFrank,U.S.A.,1959.,P.27.

15-Judas,A.: Etude Demonstrative de Iangue Phenicienne et Ia Langue Punique,(R.S.A.C.),1866,P.262-309.

16-Khanoussi,M.: Dougga,Tunisie,1998,P.9

17-Lassus,J.: Iol,in, The Princeton Encyclopedia of Classical Sites, Princeton,1976,p.413.

17-Lassus,J.: Hippo Regius,in, The Princeton Encyclopedia of Classical Sites, Princeton,1976,P.494.

19-Leglay,M.: Saturne Africain, Monuments,T.I,Paris,1961,P.332-360.

20-Muller,L.A.F.: Numismatique de l'ancienne Afrique, Vol.III, Supplement, editor, Bologne, Italie, 1869,P.64.

21-Mommson,Th.: The Provinces of The Roman Empire From Caesar to Diocletian,Vol.II.Translated by William,P.Dickson,London,1909,P.3.

22-Mazard,M.: Corpus Nummorum Numidiae Mauretaniaeque,Paris,1958.P.156

23-Ptolemius: Geography,ed.Muller, C.,(L.C.L.), Paris,1901.IV.P.1-14.

24-Plinius: Natural History(Historia Naturalis), Translated by: Jones, W.H.,(L.C.L.), London, 1955.V.II.22.;V.IV.30.

25-Ptolemius: Geography,ed.Muller, C.,(L.C.L.), Paris,1901.IV.P.1-14.

26-Starr,Chester,G.: The Emergence of Rome as Ruler of The Wesern World,paris,1965,P.50.

27-Slim.H.: Thysdrus in The Princeton Encyclopedia of Classical Sites,Princeton,1976,P.919.

28-Strabo: Geography(Geographia), Translated by: Horace W.,(L.C.L.), London, 1960.Vol.VIII.169-183.

29-Slim,H.: Histoire de la Tunisie L'Antiquite,Tunis,1964.P.169.

30-Tollem.B.: Sufetula, in: Antike Statten am Mittelmeer, Darmstadt,1999, P.331.

31-Sallustius: Jugurthan War (Bellum Iugurthinum),Translated by: Rolfe, S.E.,(L.C.L.), London, 1960.

32-Storm,E.: Lixus-antike Industriestadt am Atlantik. In: Nord Africa: Antike-Christentum-Ilam,1987,P.57-94.

33-Yacoub.M.: Une Mosaique de Thyesdrus, in: L'Afrique, Le Gaule, La Religion a L'epoque romaine, 1994,P.70-80.

34-Tollem,B.: Cirta,in,Antike Stadte am Mittelmeer, Darmstadt, 1999,P.842.

35-Tissot,Ch.: Geographie Comportee de la Province Romain d'Afrique, Paris,1956,P.484.

36-Thouvenot,R.: Une Colonie Romaine.Op.Cit.,P.548-558.

37- ----------: Inscription sur bronze trouvée a Volubilis, la maison d'Orphée a Volubilis. Deux. Mosaiques de Volubilis. A sujets mythologiques. Statuette de Mercure trouvée a Banasa. Maison romaine a sala(Chella). Marques d'amphores romaines trouvées au, Intérêt publications,Maroc,1945